خسرو وشـــيرين

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمد مصطفى

— ٥ —

ودّعت شيرين فرهاد بعد أن استرد شعوره ، وتركته ونزلت بجوادها الجبل قاصدة قصر شيرين ، وإذا بالجواد يكبو وتكاد شيرين أن تسقط من فوقه . فأسرع فرهاد إليها ، وقد أراد أن يقوم أمامها بعمل من أعمال الرجولة والبطولة ، وحملها هى وجوادها على كتفيه ، ونزل بها ذلك المنحدر الشاق ، فأعجبت شيرين بقوته الهائلة

(شكل ١)

وفى (شكل ١) تقدم فرهاد لنجدة شيرين ، عندما تعثّر جوادها الأصيل وكادت تزلّ قدمه ، فحملها هى وجوادها على كتفيه ونزل بهما ذلك المنحدر الشاق[1] ، وقد ظهرت على وجهه دلائل السعادة لهذا العمل الذى جلب إلى قلبه البهجة والسرور . وترى خلفه اللوحة التى تحتها لتمثيل خسرو وهو واقف

(١) توجد عدة صور فى وضع مماثل لهذا . أنظر مثلا : B—W—G, pl. C[B. M. S. Dimand, A Handbook of Mohammedan Decorative Arts, fig. 1 p. 31.

والمقارنة أنظر صورة من مخطوط لخسرو وشيرين للشاعر التركى (شيخى) فى: Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 94 B.

بين شيرين وموبَذ الموبَذان . وهذه الصورة[1] كانت مع عدة صور أخرى ضمن مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى مؤرخ سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٣م) . ويمكن تأريخ هذه الصور[2] حوالى سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) . وهذه الصورة[3] محفوظة فى مجموعة شستر بيتى بلندن

* * *

بلغت مسامع خسرو أخبار تطور العلاقات بين شيرين وفرهاد، من عطفها وإشفاقها عليه ، إلى إعجابها به ، فخاف أن تبلغ هذه العلاقات بينهما مدى أبعد من ذلك . أضف إلى ذلك أنه علم أن فرهاد قد قرب من إتمام مشروعه الهائل ، وإنه على وشك الوصول إلى نهاية الطريق الذى يشقه فى صخور جبل بيستون . فجمع خسرو وزراءه وسألهم عن حيلة تعفيه من وعده لفرهاد ، فأشاروا بما أملته عليهم قلوبهم الجامدة القاسية ، التى لا يعرف الحب إليها طريقاً ، والتى ماتت فيها العواطف وتحجرت دماء الشباب . إذ أرسل خسرو إلى فرهاد الشاب المفعم بالحماسة للحياة، امرأة عجوزا قد فرغت من تجارب الزمان ، أخبرته فى رفق قائل، وتؤدة خانقة ، أن شيرين قد اختارها الله تعالى إلى جواره[4] ... يا لله ! ... ماتت شيرين ! ... فيالها من حياة تعسة يائسة ! ... ولكن ... لا !... فإن قلوب المحبين خالدة لا تموت !... وشعر فرهاد كأن روح شيرين ترفرف عليه، وتدعوه ليصعد إلى جوارها، إلى حياة أخرى خالدة هادئة ... وصعد فرهاد إلى صخرة شاهقة تشرف على ذلك الطريق الذى شقه فى سبيل القرب من حبيبته ... فصار آخر طريق يسلكه ليصل من هذه الدنيا ... دنيا الخبث والشقاء والبؤس ... إلى دنيا السعادة والأحلام والخلود ... وعلى سطح هذه الصخرة الشاهقة ، سجد فرهاد أمام روح شيرين الطاهرة البريئة ... وقد مثلت أمامه ، فرآها بعينى بصيرته ، وقبّل لها الأرض فى خشوع وخضوع ...

(١) منقولة عن : Schulz, Taf. 30

(٢) أنظر : B-W-G, p. 68, no. 69 و S. P. A., III, p. 1856

(٣) أنظر صورة أخرى من هذه المجموعة فى (العدد ٤٠٨) من (الرسالة) ص ٤٣٦ (شكل ١)

(٤) أنظر صورة لفرهاد وهو يستمع إلى الخبر الكاذب عن موت شيرين فى : Schulz, II, Taf. 57, Abb. 1

ثم قام وقد افترت شفتاه عن ابتسامة الواثق من مآله ، ولاحت على وجهه دلائل النبطة والسعادة ، وألقى بذلك الجسد الفاني إلى الطريق ، فصعدت روحه الخالدة إلى السماء ، وهي تنظر وراءها ، إلى تلك الابتسامة الباقية على شفتيه ، فترى فيها ما للموت من جمال ... وكيف لا يكون للموت جمال ... ؟ !

(شكل ٢)

وفي (شكل ٢) يرقد فرهاد رقدته الأخيرة ، بعد أن ألقى بنفسه من أعلى الصخرة ، فسقط إلى جوار أدواته التي كان يعمل بها في تحت الطريق بجبل بيستون . وإلى اليمين أسرع رجل إليه ، وقد عقلت الدهشة لسانه ، فوضع يده على فمه . وانطلقت الغزلان والطيور مبتعدة عن مكان هذه المأساة الموحشة ، كأنها تفر من هول القضاء المحتوم . وهذه الصورة[1] في مخطوط[2] للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوي ، كتب في هرات سنة ٨٩٠ هجرية (١٤٨٥ م) ومحفوظ في مجموعة شستر بيتي بلندن

أفلحت مكيدة وزراء خسرو ، ومات فرهاد وهو يعتقد أن شيرين قد ماتت ، فأراد أن يلحق بها . وحزنت شيرين على فرهاد حزناً شديداً ، فأمرت ببناء قبة فوق المكان الذي مات فيه ، لتكون رمزاً للحب الطاهر البريء ، وكعبة يحج إليها كل محب صادق في حبه

* * *

(١) منقولة عن : Martin, Les miniatures de Behzad, pl. 13

(٢) راجع ما كتبناه عن هذا المخطوط في العدد ٤٦٠ من (الرسالة) ص ٤٨١ — ٤٨٢ شكل ٢

لم يكن حزن شيرين لموت فرهاد إلا لإشفاقها عليه وإعجابها به ، فقد كان صادقاً في حبه ، عفيفاً أبيّ النفس ، وفيّاً كامل الرجولة . وماتت مريم ابنة امبراطور الروم ، وزوجة خسرو وأم ابنه شيرويه . فأرسل خسرو الرسل إلى شيرين يطلب ودّها ، ولكنها رفضت أن تقابلهم ، وأصمت أذنيها دونهم . وحاول شابور ، صديق الطرفين ، أن يوفق بينهما ، فبذل في هذا السبيل كل ما أوتي من ذكاء وسعة حيلة ، ولكنه لم يفلح . فقد كانت شيرين غضبي لزواج خسرو من مريم ، ولقسوته الشديدة على فرهاد . وأراد خسرو أن يسري عن نفسه ، فاختار لذلك سيدة جميلة من سيدات البلاط ، اسمها « سكّر » ولكنه سرعان ما سئم صحبتها

وتاقت نفسه إلى حبيبته شيرين ، فرحل إلى الهضاب المرتفعة في طلب الصيد ، وضرب خيامه على مقربة من قصر شيرين . وكانت هي — على مر الأيام — قد بدأت تشعر بالأسف ، لمعاملتها رسله بهذا الجفاء ، فرضيت أن تستقبله في قصرها . وما كادا يتقابلان في أول لقاء بعد هذه الحوادث ، حتى ثارت ثائرتها ، وأخذت تعنفه لخيانته وقسوته ، ثم صرفته من بين يديها ، فرجع كسير القلب حزيناً . وعادت شيرين ثانية تشعر بالأسف لجفائها معه ، وأرادت أن تصلح ما أفسدت ، فتسللت من قصرها ، وتوجهت إلى معسكر خيامه في زي أحد غلمان الملك . وهناك قابلها شابور ، فتوسلت إليه أن يحبّبها في منظرة ، ففعل ذلك . وأغرى خسرو حتى أدب مأدبة في هذه المنظرة . وكان شابور قد أخبر نيكيسا بوجود شيرين ، فغنّت أثناء المأدبة بصوت رخيم تحركت له أوتار قلب خسرو ، ورد عليها بريد بأغنية أثارت عواطف الجميع ، فلم تمالك شيرين نفسها دون أن تنهد ، وتفصح بذلك عن وجودها . وهنا رفع شابور الستار عن محبّبها ، ورآها خسرو أمامه ، وهي ترنو إليه ، ولسانها حالها يقول[1]

لا رأى السوء من يراك يد الدهـ ... ـر وأحيا الإله من حياكا
أي نور تناظري إذا ما ... مرّ يوم وناظري لا يراكا

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية رقم ٦٧٩ سنة ١٩٤١ ضد دردير عباس إبراهيم صاحب مخبز بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة ٢٤ ساعة والنشر على مصاريفه لمرتكبه البيع خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة .